

دلائل الإعجاز

وجملةُ الأمرِ أنَّهُ لا يكونُ كلامٌ من حرفٍ وفعلٍ أصلاً ولا من حرفٍ واسمٍ إلا في النَّداءِ نحو : يا عبد الله . وذلك أيضاً إذا حُققَ الأمرُ كان كلاماً بتقديرِ الفعلِ المُضمَرِ الذي هو أَعْنِي وأريد وأدعو و " يا " دليلٌ على قيام معناه في النفس . فهذه هي الطَّرِيقُ والوجوهُ في تعلُّقِ الكلمِ بعضها ببعضٍ . وهي كما تَرَاهَا معاني النَّحوِ وأحكامه .

وكذلك السَّبِيلُ في كلِّ شيءٍ كان له مدخلٌ في صحَّةِ تعلُّقِ الكلمِ بعضها ببعضٍ لا تَرى شيئاً من ذلك يَعْدُو أن يكونَ كُماً من أحكامِ النَّحوِ ومعنى من معانيه . ثم إنَّنا نَرى هذهِ كلاًَّ لها موجودةٌ في كلامِ العربِ ونَرى العلمَ بها مُشْتَرِكاً بينهم . وإِذَا كان ذلك كذلك فما جوابُنا لخصمٍ يقولُ لنا : إذا كانت هذهِ الأمورُ وهذهِ الوجوهُ من التعلُّقِ التي هي محصولُ النَّظمِ موجودةٌ على حقائقها وعلى الصَّحَّةِ وكما ينبغي في منثورِ كلامِ العربِ ومنظوميه ورأيناها قد استعملوها وتصرفوا فيها وهمَّلموا بمعرفتها وكانت حقائقها لا تتبدلُ ولا تختلفُ بها الحالُ إذ لا يكونُ للاسمِ بكونه خيراً لمبتدأ أو صفة لموصوف أو حالاً لذي حالٍ أو فاعلاً أو مفعولاً لفعلٍ في كلامٍ حقيقةٌ هي خلافُ حقيقتهِ في كلامٍ آخرَ فما هذا الذي تجدُّد بالقرآنِ من عظيمِ المزيَّةِ وباهرِ الفاضلِ والعجيبِ من الوصفِ حتى أعجز الخلقَ قاطبةً وحتَّى قهرَ من البُلغاءِ والفُصحاءِ القويِّ والقُدُورِ وقيدَ الخواطرِ والفكرِ وحتى خَرستِ الشقاشقُ وعدمِ نطقِ الناطقِ وحتى لم يجرَّ لسانٌ ولم يُبينَ بيانٌ ولم يساعدَ إمكانٌ ولم يندُقحَ لأحدٍ منهم زَنُودٌ